باب المراسلة والمناظرة

مجلة العالم الاسلامي الفرنسية

﴿ انتقادها مجلة المنار وصحف اسلامية أخرى من جهة ﴾

(ومشروع جامعة الدعوة والارشاد من جهة أخرى)

أرسل الينا أحد أصدقائنا في باريس قطعة من مجلة العالم الاسلامي الفرنسية حملت فيها على الجرائد المذكورة في بداية النقد وخصت المنار بقسط كبير وتناولت مشروع الدعوة والارشاد مع ان المنار لم يبد رأيه في هذه المقالات بعد وهذه ترجمتها:

«هل تتكرم رصيفاتنا الغراء: المؤيد والمنار والاتحاد العثماني وصحف اسلامية أخرى أن توضح لنا جنسية وأصل المحرر الاوربي الذي أتى بالاقوال التي عزتها هذه الصحف الى مجلة العالم الاسلامي؟

«كتبت جريدة المؤيد في ٨ ابريل سنة ١٩١٢ تقول «وان في فرنسة (لجنة Comité) اسمها «الارسالية العلمية المراكشية» مؤلفة من المستشرقين الذين درسوا الكتب الاسلامية والعادات الشرقية واللغة العربية أو غيرها من لغات المسلمين خدمة لجامعات فرنسة السياسية والدينية والاقتصادية.» اهـ

«ولكن من الخطأ الواضح أن يقال عن الارسالية العلمية المراكشية إنها «لجنة Comité». واذا كان العلامة مدير المؤيد يتتبع الكتب فلا يصعب عليه أن يقف على أصل ما جاء به (من معنى لفظ اللجنة) خصوصا وان هذه الارسالية العلمية لا تشبه اللجنة بوجه من الوجوه. وليس من الصواب أن يقال: ان لها مقاصد سياسية أو دينية أو اقتصادية. وكل ما في الامر أن عملها نتيجة مساعي بعض الخاصة، وترجع هذه

المساعي الى سنة ١٨٨٩ ـ ١٨٩٠ . وقد أعطيت الارسالية منذ ذلك الحين مبلغا صغيرا من المال لادارة شؤونها . أما الآراء التي تنشرها هذه الارسالية فهي خاصة بها ولا شان للحكومة فيها . وعلى هذا فان ما قالته جريدة المؤيد بهذا الشأن مخالف للواقع

« وتقول جريدة المؤيد : « ان هذه « الجمعية » أخذت قبل خمس سنوات تنشر في باريس مجلة كبرى مصورة تصدر في كل شهر اسمها « مجلة العالم الاسلامي » ولقد كانت هذه المجلة قبل الآن ظاهرة بمظهر علمي تكون الغايات السياسية فيها بالدرجة الثانية الى ان تم للفرنسة احتلال مراكش أولا ثم دخلت فارس في طورها الاخير وحل بعد ذلك ما حل بطرابلس . فظهرت هذه المجلة كغيرها بمظهرها الحقيقي الذي تكون فيه الدروس العلمية واسطة لغايات سياسية ودينية » اه

«وقد حذت مجلة المنار الدينية التي تصدر في مصر حذو جريدة المؤيد فقالت في الصفحة ٢٥٩ من المجلد الخامس عشر ما يأتي : « وبعد احتلال مراكش ودخول بلاد فارس تحت النفوذ الروسي الانجليزي واعتداء ايطالية على طرابلس الغرب ظهرت ـ أي مجلة العالم الاسلامي ـ بمظهر جديد تجلت فيه خطتها من التوسل بالعلم الى المقاصد السياسية والدينية » اه

«والقول ان لمجلة العالم الاسلامي غاية دينية من شأنه أن يبعث السرور والفرح في قلوب قرائها الاوربيين الذين لا يدركون وجود هذه الغاية الا بتفسير وتأويل

« اهتمت جريدة المؤيد ومجلة المنار وغيرهما اهتماما زائدا بعدد مجلتنا الذي صدر في نوفمبر الماضي خاصا بموضوع الغارة على العالم الاسلامي وقامت بترجمة فصوله مستمرة على ذلك ، خصوصا المؤيد الذي يصدر بها أعداده بعناية تستوجب اعجابنا واحترامنا فليتكرم بقبول شكر المجلة له على ذلك

«ولكن المؤيد لم يشأ ان يختم توطئته المنشورة في عدد ٨ ابريل بدون تبرم إذ قال في آخرها : « ان المقاصد تتبين مع انكشاف الحوادث »

« ان نشر ترجمة هذه المقالات قد بعث لاول مرة الدهشة في قلوب الجميع » كما يتضح مما قالته جريدة الاتحاد العثماني وهي جريدة هامة تنشر في بيروت

تحت رعاية جمعية الاتحاد والترقي (١) وذلك أن بعض (كتبة) الصحف العربية انتقد بلهجة شديدة على ترجمة مقالات الغارة على العالم الاسلامي حيث قال: إن من الغبن نشر كلمة «الغارة» على صفحات جريدة اسلامية، فردت عليه جريدة الاتحاد العثماني قائلة: «انا رأينا السكوت عن نشر هذه المقالة غشا لا يجيزه لنا الدين ولا الوطنية بوجه من الوجوه، فاشفاقا على عواطف القراء الذين ما اعتادوا حتى اليوم سماع أمثال هذه النغمات المدهشة رأينا أن يكون نشرها مدعاة لتفكر عقلاء المسلمين وتدبرهم في ملافاة هذا الخطر المحدق بهم وأن لا يكون حظ هذا الفصل الاغفال والاستهانة بل القيام بما يأمر به الدين من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم وضع أبناء المسلمين في المدارس الاجنبية الا بعد أن يتمكنوا من دينهم ولغتهم ووطنيتهم.»

ومجلة المنار نشرت مقالات الغارة على العالم الاسلامي بالعنوان الذي وضعه المؤيد

«وفي ٢٦ ابريل عاد المؤيد الى التعليق على هذه المقالات متأثرا باستياء القراء من نشرها. وهذا ملخص الانتقادات والايضاحات الواردة في مقالة المؤيد يوم ٢٦ ابريل:

١ ـ ان بعض المسلمين بعد نشر هذه المقالات من قبل الموافقة على ما جاء فيها

٢ ـ والجواب على هذا القول انه من قبيل وضع الشيء في غير محله، لان المؤيد لما بدأ بنشر هذه المقالات مهد لها بتوطئة أبان فيها عن قصده من نشرها، وذكر لقرائه شيئا عن المجلة التي كتبت تلك المقالات والجمعية التي تنشر المجلة نفسها وحالتهما قبل حوادث مراكش وفارس وطرابلس الغرب وبعدها.

٣ ـ ليست هذه المقالات من المباحث العلمية أو الجدلية التي تقتضي ردا ومناقشة بل هي تأريخ وأنباء، وكما نظن أنها ستدفع أهل الغيرة لزيارة مدرسة (دار الدعوة والارشاد) التي فيها المصري والمراكشي والجاوي والقفقاسي» اهـ

«وهنا نكرر القول بأن اسناد غاية سياسية أو اقتصادية أو دينية الى مجلة العالم الاسلامي هو أمر وهمي تماما وبعيد عن الصواب بعد الارسالية العلمية المراكشية عن تشكل لجنة Comité

(١) هذا حكم من المجلة بدون تثبت فان هذه الجريدة لا علاقة لها بالجمعية ولم تكن لها علاقة بها

«أما استنتاج المؤيد والمنار والاتحاد العثماني مما هو متعلق باقالة عثرة الاسلام فهو سهم في بابه ، وكنا نحب أن نقول « ان هذه الاستنتاجات جاءت في أوانها» لولا أن (سبق السيف العذل) اذ أن العالم الاسلامي ليس مهددا بالغارة والفتح تهديدا بل قد أغير عليه وافتتح بالفعل وأصبح مغلوبا على أمره وتلك عاقبة غلطات وهفوات الذين تولوا مهمة انقاذه فتدهوروا به في هاوية الهلاك وأعينهم في سنة ونوم .

***

«كانت مكانة الخلافة الاسلامية مشرفة على السقوط في كل الجهات ، ثم حدث الانقلاب العثماني فخيل الى الناس أن الخلافة قد عاد اليها سابق عزها بعد استظهار الحرية على الحكومة الحميدية . وكان في استطاعة المسلمين يومئذ أن يبذلوا جهدهم لاحياء حضارة اسلامية مستقلة ، وقد كانت أوربة الحرة في ذلك الحين تشد أزرهم . ولكن الذين أنقذوا الدولة العثمانية من ربقة الاستبداد وهفوا بمبدإ المساواة هم الذين ارهقوا الولايات بعد ذلك عسرا باستبدادهم الذي فاقوا فيه الاستبداد الحميدي . فنصبت المشانق في دمشق وسفكت الدماء في آسية الصغرى واشتعل لهيب الثورات في ألبانية . وبموجب سنة الكون التي تربط الاسباب بمسبباتها سلخت النمسة ولايتي البوسنة والهرسك من السلطنة في مقابل ٥٣ مليونا من الفرنكات ولم يبق سوى أن نعرف من الذي تناول هذه المبالغ . وفي سنة ١٩١١ أنجزت اوكان حرب النمسة خريطة بلاد الارناؤط .

«ثم حدث بعد ذلك اغارة ايطالية على طرابلس الغرب فلم تلق فيها مقاومة ولم تسفر هذه الحادثة الا عن طلب الاعانة في الصحف وتبعها حادث استيلاء الايطاليين أيضا على جزر الارخبيل وتقسيم الاملاك العثمانية في اوربة . والظاهر أن الجيش العثماني المنظم والقوي أصبح ولا وظيفة له الا المباهاة بشكله بدون أن يعمل عملا ، وهو من هذه الوجهة مثل سفن الاسطول العثماني التي اشتريت بأثمان باهظة لكي تكون ساكنة غير متحركة .

«وتركت أوربة هذه الحوادث تجري على مرأى من العرب والترك والارناؤط

والروم والاكراد والسوريين وكل هؤلاء يميلون الى الحكم الاجنبي أكثر مما يميلون الى الاتفاق والائتلاف . وليس بين المشتغلين بالسياسة اليوم من العرب والاتراك من يجهل الاستعدادات العامة التي تجري لاجل التقسيم النهائي

« وليس بين الدول الاوربية العظمى غير الدولة الفرنسية من ابتعد عن هذا التقسيم ، لان فرنسة لا ترغب أن يكون لها حظ في ذلك ، وهي قد لا تحصل على شيء في المستقبل من هذا التراث

« أما الدول الاخرى فدائبة في المساومة والتدقيق في الحساب ، وهذا الامر غير مجهول البتة . وأما الامل ببقاء الدولة العثمانية فموقوف على اتفاق عناصرها . ولا نرى بين اصدقاء الاسلام من يقوم فيرفع صوته محذرا من الخطر الا وتقوم الجريدة العربية الكبرى في القاهرة والجريدة السورية ومجلة العلماء الدينية فيقلن : « يا للفظاعة ! . » فأين هي الفظاعة ؟ هل هي في التحذير والتنبيه أم في العناد والاصرار على ترك التفكير ؟

« ثم الآن من هم المدافعون الحقيقيون عن الحضارة الاسلامية ؟ هل هم هؤلاء الفقراء كالمراكشيين والطرابلسيين الذين يلقون بايديهم الى التهلكة لاجل بعض باشوات وقواد فاسدين ومرتشين ومشايخ ملئت بطونهم ؟ أم هم نخبة المتعلمين في الجزائر وتونس والقطر المصري وسورية وتركية وفارس المنكودة الحظ والبلاد الهندية وجزائر السند — الذين هم في مصاف الاوربيين محترمو الافكار والنزعات ؟

« في يوم ٢٨ ابريل الماضي قام كاظم بك والي سلانيك يومئذ فتكهن في أمر الحركة السياسية التي تتمخض بها الآن الجيوش العثمانية في الولايات المقدونية وألقى خطابا رنانا بين جدران مسجد القاسمية بعد صلاة الجمعة فأتى ببيان القوات الاسلامية في الصين والهند وافغانستان وتركستان وطرابلس الغرب ومراكش وبحث في أسباب الفشل الذي لحق بها . ثم ختم خطابه بشرح برنامج إسلامي سياسي أوسع من برنامج جمعية الاتحاد الترقي ويختلف عنه حض فيه على توسيع التعليم والتربية في العنصر العربي المسلم . فهل كانت غايته كاظم بك دينية أو اقتصادية ؟

« انكرت جريدة المؤيد ومجلة المنار وجريدة الاتحاد العثماني على مجلة العالم الاسلامي انها بينت للمسلمين كيف تبافت القوات الاوربية المختلفة لاستدراج الشعوب الاسلامية وادخالها في طرق اخلاقية واجتماعية وسياسية جديدة . ولو كانت هذه الصحف مدركة سير الامور التي لا مبدل لها لشكرت لمجلتنا صنيعها هذا ولما قالت . « لترجع الى التعليم العربي القديم مكتفين بتغييره تغييرا سطحيا » بل كانت تقول : « لنفتح مدرسة الفد التي هي الكفيلة بخلاصنا المؤسسة على حضارة اسلامية عصرية . »

« والآن قد وصلنا الى النقطة التي نتميز بها آراؤنا عن آراء رصفائنا العرب : أولئك مقاصدهم مقتصرة على توطيد استقلال الاسلام والهتاف له، مع التأكد من عدم الحصول على هذا الاستقلال بل مع التأكد من فقده . ونحن نود أن نراهم وطدوا أركان هذا الاستقلال بانتهاج طرق الترقي والفلاح المفتوحة أمام مستقبل الاسلام ولكنهم يضعون الجامعة الشبيهة بالقديمة التي أسسها السيد رشيد رضا في مستوى الجامعة العصرية التي يدير شؤونها البرنس فؤاد باشا . انهم لو أعملوا الفكرة والروية لمعرفة الصعاب الحقيقية التي تعترض رسوخ قدم الانكليز في مصر لاتضح لهم ـ وهم في القاهرة ـ أنها ليست منوطة بالوطنية الدينية أو الوطنية السياسية بل بالنهضة الاجتماعية الكاملة . ولا يمكن للمصري المسلم أن يخرج من تحت السلطة البريطانية بتوطيد أركان دينه بل بانهاض الفرد المسلم المستنير الى مستوى الفرد المسيحي المتنور

و بعد فاذا كان يدور في خلد المؤيد والمنار والاتحاد العثماني أن يتلافوا الغارة التي شنت على العالم الاسلامي فالطريقة سهلة السلوك ، وهي أن يقولوا لقرائهم : « لنخرج من عزلتنا . ولنقابل الحقيقة الواقعية وجها لوجه »

المنار : موعدنا الجزء الآتي للرد على ما جاء في مقال مجلة العالم الاسلامي